International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA
Volume 3, Issue 3, 2021

The significance of the news sentence on the grammatical Patterns in the Holy Qur'an

Dr. Duha Al-Shamayleh

Faculty of Arts – Mu'tah University – Jordan

Received: 8/6/2021
Revised: 12/7/2021
Accepted: 17/8/2021
Published online: 27/9/2021

* *Corresponding author:*
Email: Shamayleh @gmail.com

https://doi.org/10.65811/334
Citation: Al-Shamayleh, D. (2021). The significance of the news sentence on the grammatical patterns in the Holy Qur'an. *International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences; IJJA, 3(3).*

©2021 The Author (s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) license. https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

International Jordanian journal Aryam for humanities and social sciences: Issn Online 2706-8455

Abstract

This study aimed to highlight the aspects of excellence in the style of the Holy Qur'an, by talking about the features of the semantic transformation that occur in the news sentence, transferring it from its news meaning to a structural meaning that gives the style more depth and significance. The news in the verses of the Noble Qur'an, in addition to explaining the impact of the Qur'an context in referring to the meaning of the linguistic pattern within the news sentence. Accordingly, the study concluded that the Qur'an style is characterized by semantic and stylistic features that make it distinct from other linguistic texts. The manifestations of linguistic distinction of the style of the Noble Qur'an are linked to explanatory linguistic factors in which the significance is shared with the structure. The shift between the different structural patterns and the narration of speech gives more meaning and significance from two sides, the side of the news structure, and the side of meaning and indication of the linguistic pattern.

Keywords: News Sentence, Grammatical Patterns

دلالة الجملة الإخبارية على الأنماط النحوية في القرآن الكريم

د. ضحة الشمايلة

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى إبراز جوانب التميز في أسلوب القرآن الكريم، وذلك بالحديث عن ملامح التحول الدلالي التي تطرأ على الجملة الإخبارية، فتنقلها من معناها الخبري إلى معنى إنشائي يمنح النمط مزيداً من العمق والدلالة، كما هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهم الأنماط اللغوية التي يتحول لها الخبر في آيات القرآن الكريم، علاوة على بيان أثر السياق القرآني في الإشارة إلى معنى النمط اللغوي ضمن الجملة الإخبارية. وبناء على ذلك فقد توصلت الدراسة إلى ان الأسلوب القرآني يتميز بميزات دلالية وأسلوبية تجعله منفرداً عن غيره من النصوص اللغوية وترتبط مظاهر التميز اللغوي لأسلوب القرآن الكريم بعوامل لغوية إفصاحيه تشترك فيها الدلالة مع التركيب كما يمنح التحول بين الأنماط الإنشائية المختلفة والخبر الكلام مزيداً من المعنى والدلالة انطلاقاً من جانبين، جانب التركيب الإخباري وجانب المعنى والدلالة على النمط اللغوي.

الكلمات الدالة: الجملة الإخبارية، الأنماط النحوية.

المقدمة

يتكون الكلام في لغتنا العربية من جانبين اثنين باعتبار طبيعة الخطاب، الجانب الجانب الإخباري والجانب إنشائي وهناك حدود فاصلة بين هذين النمطين من الكلام في العربية، وهذه الحدود الفاصلة أكثرها يدخل في الجوانب الشكلية، أي إن الشكل التركيبي للسلسلة الكلامية هو الذي يحكم عليها بالخبر أو الإنشاء. يختلف النمط القرآني باشتماله على مجموعة من الاستعمالات الكلامية التي عثرت عليها تظهر فيها الجملة بمظهر الخبر، إلا أن معناها إنشائي بحت، فمثلاً قد تدل الجملة الإخبارية على الأمر، أو الاستفهام، أو النهي، أو غير ذلك من المعاني الإنشائية، وذلك مرتبط بسياق الكلام، ومجموعة الدلائل اللفظية والمعنوية المحيطة بهذه الجملة الكلامية.

التمهيد

حين يكون الحديث عن المستويات اللغوية فإننا لا نعني بهذه المستويات المستوى الفصيح والمستوى العامي، وغيرها من المستويات الثقافية التي لا شك أنه يطلق عليها هذا المصطلح، وإنما نعني بمصطلح المستويات اللغوية تلك المستويات التي تقوم بتشكيل جسم اللغة نفسها، أي المستوى الصوتي والنحوي والصرفي والدلالي بوجه العموم. و تمهيداً لموضوع هذه الدراسة لا بد من أن نتطرق للحديث عن مفهوم الدلالة باعتبارها الركن الأول من أركان عنوان الدراسة، إذ تشير المعاجم اللغوية إلى أن كلمة "الدلالة" مأخوذة من الجذر اللغوي "دَلَلَ"، ومنه تشتق مفردات كالدليل، والدلال، والدالة، والدلالة، وغيرها من الألفاظ.

يتضح من خلال المعنى اللغوي أن الجذر (دلل) يرتكز على فكرة الإبانة والتوضيح والمعرفة، وذلك انطلاقاً من طبيعة الجذر اللغوي المشتق منه هذا المصطلح، ومن جهة ثانية فإن هذا المصطلح مرتبط في معناه اللغوي بكلمة "الدليل"، فالدلالة اسم للإشارة إلى الدليل. أما مفهوم الدلالة اصطلاحاً، فيبين الجرجاني ذلك بقوله: " هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتًا بنفس النظم،

أو لا، والأول: إن كان النظم مسوقًا له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعًا فهو الاقتضاء؛ فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادًا" ·

وعلم الدلالة يُناقش في اللغة ضمن أحد مستوياتها، إنْ لم يكن الأهم منها، وهو المستوى الدلالي، إذ يذهب بعض الباحثين إلى القول بأن هذا المستوى يمثل قمة المستويات اللغوية، فهو الذي لأجله يُبحث المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي كذلك، إذ هو غاية المعنى، ومنتهى العبارة التي يسعى إليها أبناء اللغة·

دلالة الجملة الإخبارية على الأنماط الإنشائية الطلبية

أولاً: الخبر والاستفهام:

يشتق مصطلح الاستفهام في العربية من الجذر "فهم" وهو جذر دال على معنى العلم بالشيء. أما الاستفهام في المعنى الاصطلاحي فيشير إلى طلب فهم الشيء، وهو استعلام عما يجول في ضمير المخاطب، فإذا حصلت تلك الصورة لدى المستعلم صار تصديقاً، أما إذا لم تحصل فهو التصور. وللاستفهام مجموعة من الدوال التي تشير إليه، وتحمل كل دالة من هذه الدوال معنى يُستفهم عنه، فيكون المستفهم عنه مرتبطاً بتلك الدالة، وهو ما يطلق عليه اسم أدوات الاستفهام· وهذه الأدوات تختلف باختلاف أقسام الكلام، فمنها ما هو حرف، وهما الهمزة و"هل"، ومنها ما هي أسماء، والأسماء منها ما هو ظرف، ومنها ما هو غير ظرف، وكلها تفيد معنى الاستعلام عما يرتبط بهذه الدالة من المعنى. وعند استقراء الآيات القرآنية في المصحف الشريف نجد بعضها قد اشتمل على جملة إخبارية شكلياً، غير أنها دالة على معنى الاستفهام، فهي في ظاهرها خبر، غير أنها في معناها استفهام.

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) (الحج: ٤٧). إذ اشتملت الآية القرآنية الكريمة على جملة "ويستعجلونك بالعذاب" فظاهر هذه الجملة يوصي بالإخبار وأنه لا صلة لها بالإنشاء، ولا دخل لها بالأساليب الإنشائية، غير أن تتبع السياق الذي نزلت فيه هذه الآية يوحي بغير ذلك.

إن من بين أكثر الأساليب الإنشائية تحولاً في العربية أسلوب الاستفهام، فكثيراً ما يأتي

هذا الأسلوب معنوياً ضمن جملة إخبارية، على نحو ما نرى في الآية الكريمة، وقد يأتي أيضاً ضمن جملة إنشائية، فيكون مثلاً الأمر بمعنى الاستفهام، وما هذا إلا دليل على كثرة تحول هذا الأسلوب عن أصله، وكثرة مجيء الأساليب الأخرى بمعناه. ومثل هذه الآيات القرآنية الكريمة في كتاب الله تعالى يُستدل على معناها الاستفهامي من خلال سياق المعنى والكلام، فإن الجملة التي تفيد معنى الخبر تختلف في سياقها عن الجملة التي تفيد معنى الإنشاء كالاستفهام مثلاً.

لقد نزلت هذه الآية الكريمة في ما كان يقع من المشركين والكفار من تحدٍّ للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بأن يُنزل عليهم العذاب إن كان نبياً حقاً، فكانت هذه الآية الكريمة رداً على هؤلاء الكفار، إذ إن الله لو أراد أن ينزل بهم العذاب لأنزله، ولو أراد أن يتم وعده لأتمه، كما بيّنت الآية الكريمة أن مقاييس البشر في النظرة إلى الزمان مختلفة عن مقاييس الله عز وجل، فالأيام تختلف عند الله تعالى اختلافاً كلياً عما هي عند البشر. يقول الزمخشري مفسراً هذه الآية الكريمة: " أنكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل أو الآجل، كأنه قال: ولم يستعجلون به؟ كأنهم يجوّزون الفوت، وإنما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف، والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين، وهو سبحانه حليم لا يعجل، ومن حلمه ووقاره واستقصراه المدد الطوال أنّ يوما واحدا عنده كألف سنة «١» عندكم" .

حين فسّر الزمخشري الآية السابقة ذكر في كلامه أن الله تعالى كأنه قال: لم يستعجلونك بالعذاب؟ فأتى بأداة استفهام هي "لمَ" في إشارة منه إلى أن هذه الآية تحمل معنى الاستفهام وإن كان شكل الكلام بطريقة الخبر، إنه تحول داخل ضمن البنية الدلالية للآية الكريمة. ويبين الجوزي أن هذه الآية الكريمة جاءت رداً على سؤال المشركين "متى هذا العذاب" ونحوه من تلك الأسئلة التي كانوا يطرحونها على النبي – صلى الله عليه وسلم – فكانت هذه الآية الكريمة رداً عليهم .

من هنا كانت هذه الجملة الإخبارية "ويستعجلونك بالعذاب" خبرية لفظاً، استفهامية معنى؛ لأنها استفهام إنكاري على سؤال المشركين للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – بخصوص استعجال العذاب. وقد جاءت تكملة الآية القرآنية الكريمة متممة للمعنى انطلاقاً من استعجال الكافرين العذاب، فكان هذا التعقيب منه سبحانه وتعالى بأن الله لن يخلف وعده،

وإن حساب الزمن عنده يختلف عما عند البشر. وقد صرّح سيد طنطاوي بأن جملة "ويستعجلونك بالعذاب" خبرية لفظاً، إنشائية معنى بمعنى الاستفهام وتأتي الجملة إخبارية في لفظها، إلا أنها تأتي بمعنى الإنشاء الطلبي، أي بمعنى الاستفهام.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نلحظ أن الآية القرآنية الكريمة اشتملت على نموذج للتحول الدلالي في جملة "ويستعجلونك بالعذاب" فإن هذه الجملة خبرية في ظاهرها، أو لنقل في شكلها التركيبي العام، إذ واضح للمتلقي أن هذه الجملة فعلية، فعلها مضارع، وأن دلالة هذه الجملة على الخبر ليست دلالة صارمة، بل حملت في ثناياها الدلالة على الإنشاء، وبالتحديد الدلالة على الاستفهام، فالتقدير: لمَ يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده...، هذا هو تقدير المعنى، أو: هل يستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده...، فيكون التركيب خبري، غير أنه يحمل معنى الاستفهام. يمكن القول إن هذا التحول الذي طرأ على هذه الجملة إنما هو تحول دلالي، ففرق بين معنى الخبر ومعنى الاستفهام، فهذا لا يستدعي شيئاً، في حين أن الاستفهام يستدعي مطلوباً حاصلاً وقت الاستفهام، فهو تحول دلالي، ومجيء هذا المعنى ضمن جملة الخبر يشير إلى ارتباط المعنيين ببعضهما، فقد امتزجت دلالة الخبر بدلالة الاستفهام ضمن هذا التركيب، فدلّ ذلك على امتزاج المعنيين.

ونحو ما سبق قوله تعالى: (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (غافر: ٨١-٨٢). "فظاهر المعنى في قولهِ (ما أغنى عنهم) هو الخبر، غير أن سياق الآية يحمل في طياتهِ معنى الإنشاء. فالخبر مقصود به النفي، أي أنه سبحانه وتعالى ينفي عن هؤلاء الكفرة استفادتهم مما كانوا يكسبونه في حياتهم الدنيا، بمعنى أنه لو عُدَّت "ما" في هذه الآية خبرية فإنها تحمل معنى النفي .هذا يعني أن مناط التأويل في هذه الآية الكريمة مرتبط بـ "ما" فإنها تصلح أن تكون استفهامية، فيكون المعنى على ذلك استفهاماً، وتصلح أن تكون نافية، فيكون المعنى على ذلك إخباراً، فالاحتمالات التي تحتملها "ما" في هذه الآية الكريمة وفي سواها من المواضع المتشابهة هي التي تتحكم بطبيعة المعنى المخصوص ضمن هذه الآية الكريمة .

فقد جاء عند أبي إسحاق الثعلبي قوله : هو بمعنى الاستفهام، ومجازه: أي شيء أغنى عنهم كسبهم" ويؤيد ما سبق ما تجده عند الرازي إذ يقول " وتصلح أن تكون (الآية) متضمنة

معنى الاستفهام، فتكون الجملة إخبارية في لفظها، إنشائية في معناها، فيكون المعنى: أي شيء أغنى عنهم وبهذا أشار أبو السعود، ووضح أن هذه الجملة الكريمة ضمن الآية القرآنية تحمل معنى الاستفهام وإن كانت بلفظ الخبر وتجدر الإشارة هنا إلى أن غالبية المفسرين قالوا إلى أن (ما) نافية ، إلا أن هنالك من حملها على معنى بعيد وهو الاستفهام، إلا أن هناك إشارة قد تمنح هذه الجملة شكل الاستفهام، وهي أن نعد "ما" استفهامية، فتكون بذلك استفهاماً صريحاً، أي: ما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون؟ وقد أشار إلى هذه الفكرة بعض المفسرين ومنهم الخلوتي. وعلى الرغم من كون هذا الاحتمال وارداً في هذه الآية الكريمة، إلا أننا نرى أنها ما نافية/ لما تشير إليه الآية الكريمة، أما من الناحية الثانية فإن هذه الجملة الإخبارية تضمنت معنى الاستفهام، فكانت بذلك مشتملة على المعنيين، إنها تدل على الاستفهام من جهة، وهي بتركيب الخبر من جهة ثانية.

ثانياً: الخبر والنهي

النهي في المعنى المعجمي اللغوي مأخوذ من الجذر "نَهَيَ"، وهو دال على معنى الغاية والبلوغ، ومنه أنهيت إليه الخبر: بلغته إياه، والنهاية: غاية كل شيء، ومنه نهيته عن الأمر، وذلك لأمر يفعله، فانتهى، فتلك هي الغاية والنهي ضد الأمر، فكما أن المتكلم يطلب من المخاطب فعل شيء ما، فالنهي طلب المتكلم من المخاطب عدم فعل شيء ما، إذ يقال: نهيته فانتهى، أي كفّ عن ذلك الفعل ويأتي النهي في العربية وفق نظام تركيبي مخصص، يتمثل بدخول "لا" الناهية على الفعل المضارع، فيقول القائل: لا تفعلْ، وبذا يكون قد نهاه من هنا فالنهي طلب المتكلم من المخاطب ترك فعل ما، وذلك وفق الصيغة التركيبية النحوية المعهودة، فطلب الترك هو المقصود بهذا التركيب ولقد وردت مجموعة من الآيات القرآنية التي جاء فيها الخبر لفظياً، في حين كان المعنى معنى النهي، ومنها قوله تعالى.

يقول سبحانه وتعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(الروم: ٣٠). جاءت الجملة مستفتحة بالنفي، وهي قوله: لا تبديل لخلق الله، فـ "لا" التي في بداية هذه الجملة للنفي وليست للنهي، غير أن المراد من هذا النفي النهي، أي لا تبدلوا خلق الله .

يشير النحاة إلى أن من كتاب الله تعالى ما يأتي فيه الخبر بمعنى النهي، فيكون نهياً في معناه، وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومعنى النهي أبلغ من النهي في

نفس المتلقي فمن المعهود في القرآن الكريم أن تأتي الجملة بلفظ الخبر، أو الكلمة بلفظ المؤنث، والمقصود بها النهي، أي بالتذكير، أي أن يكون المعنى على النهي، وهو أمر موجود في كتاب الله تعالى

يقول الخازن في تفسير هذه الآية الكريمة: " قوله عز وجل لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ أي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك. وقيل معنى لا تبديل لخلق الله هو جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا" ويشير الكلام السابق للخازن إلى أنه يعد هذه الآية من قبيل الخبر الذي هو بمعنى النهي، فقد اجتهد على أن يضمن كلامه جملاً مشتملة لمعنى النهي، وصولاً بذلك إلى الإيحاء للمتلقي بأن هذا الخبر الظاهر بصورة النفي إنما يراد به النهي على ما بيّن.

وقوله: {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} أي لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغيروها بل نموها وأبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد. فالجملة خبرية لفظا وإنشائية معنى نحو فهل أنتم منتهون فهي بمعنى انتهوا وهي أبلغ من انتهوا فكذا: لا تبديل أبلغ من لا تبدلوا، ويذكر أكثر المفسرين هذه الآية نموذجاً على تحول الخبر إلى معنى النهي، فيكون اللفظ خبراً، والمعنى نهياً، ومن بينهم أبو حيان الأندلسي، وابن كثير، وابن عادل الحنبلي، والشربيني، والشوكاني، وغيرهم.

وبناء على ما تقدم، فإنه يتضح أن هذه العبارة الخبرية "لا تبديل لخلق الله" التي جاءت في الآية الكريمة إنما جاءت بلفظ الخبر، وأريد منها الإنشاء، وتحديداً أريد منها النهي، فكانت نهياً في معناها، والتقدير: لا تبدلوا خلق الله. أي إن هذه الجملة قد طرأ عليها تحول دلالي نقلها من الدلالة على الخبر إلى الدلالة على الإنشاء، وتحديداً النهي، فليس المعنى مرتبطاً بشكل الجملة الظاهر فحسب، بل له ارتباط كذلك بمضمونها وما قد تشي عنه من المعاني ضمن هذا التركيب الإخباري.

أما لو نظرنا إلى هذه العبارة الكريمة من جهة السياق، فإننا نجد السياق متوافق مع طبيعة هذا التحول نحو النهي، فقد بدأت الآية الكريمة بلفظ الأمر، "وأقم وجهك"، والأمر قسيم النهي، فلما كان السياق مشتملاً على لفظ الأمر، حسُن أن تأتي هذه الجملة بمعنى النهي، فالسياق يؤيد المعنى الذي تحولت إليه الجملة الخبرية ضمن هذه الآية الكريمة.

ثالثاً: الخبر والدعاء:

يبين الجرجاني أن مفهوم الدعاء في معناه العام الطلب، ودعاء الإنسان طلبه شيئاً ما و يأتي الدعاء في اللغة بمعنى الطلب، إذ يرتبط بشبه جملة دالة على معناه خيراً وشراً، فيقال: دعوت له، أي بالخير، ودعوت عليه، أي: بالشر، كما يطلق الدعاء على تسمية الشيء، يقال: دعاه بفلان، أي سماه به، وإذا أُريد من الدعاء حصول منفعة ما فإنه يتعدى بحرف الجر "الباء" يقال: دعوت ربي بالخير، ومما يطلق عليه مصطلح الدعاء النداء، إذ يمكن أن يقال في النداء دعاءً، إلا أن النداء يختلف عن الدعاء بأن الأخير يُذكر فيه الاسم، في حين أن النداء لا يُشترط فيه ذكر الاسم

وليست هناك صيغة ثابتة للدعاء في العربية، إذ يخضع هذا النمط اللغوي لعناصر المعنى أكثر من خضوعه لعناصر التركيب، إذ قد يقال: سقيا لفلان، فهذا دعاء له بالسقيا، في حين أن الصلاة مثلاً تُطلق على الدعاء، فهذا اختلاف تركيبي في نمط الدعاء، إذ لم يخضع في عموم نمطيته إلا للمعنى دون التركيب ولقد وُجِدت بعض الآيات القرآنية التي اشتملت على جملة خبرية في لفظها، إنشائية في معناها، وتأتي بمعنى الدعاء، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا)(النساء: ٩٠). إذ يبين العلماء أن جملة "حصرت صدورهم" بمعنى الدعاء، أي إنها جملة إخبارية في لفظها، إنشائية في معناها، وهي بمعنى الدعاء.

لقد أتى المبرد بمعنى الدعاء في هذه الآية الكريمة، وهو على نحو قولك لعنُوا قطعت أَيْديهم وَهُوَ من الله إيجَاب عَلَيهم" وتابع عدد من النحاة المبرد في ما ذهب إليه من اعتبار هذه الجملة من الآية الكريمة على سبيل الدعاء من الله سبحانه وتعالى عليهم، ومن بينهم ابن السراج، والعكبري، وابن مالك الأنصاري، وغيرهم.

إن هذا المعنى الذي أشار إليه المفسرون من كون الجملة الكريمة من الآية القرآنية بمعنى الدعاء إنما يُنسب للمبرد، أي إن الإخبار هاهنا بمعنى الدعاء عليهم بأن يحصر الله صدورهم. وعلى الرغم من أن عدداً لا بأس به من المفسرين قد أشار إلى معنى الدعاء في هذه الآية الكريمة، إلا أن كثيراً منهم قد بيّن أن هذا المعنى فيه ضعف، والضعف آتٍ من طبيعة

سياق المعنى، فإنه لو كان دعاء عليهم لأفضى إلى الدعاء لهم من خلال نفي ما يُدعى به عليهم.

يقول الرازي في تفسير هذه الجملة من الآية الكريمة: " حصرت صدورهم معناه ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لأنكم مسلمون، ولا يريدون قتالهم لا نهم أقاربهم. واختلفوا في موضع قوله: حصرت صدورهم وذكروا وجوها: الأوّل: أنّه في موضع الحال بإضمار «قد» وذلك لأنّ «قد» تقرّب الماضي من الحال، ألا تراهم يقولون: قد قامت الصّلاة، ويقال أتاني فلان ذهب عقله، أي أتاني فلان قد ذهب عقله: وتقدير الآية، أو جاؤكم حال ما قد حصرت صدورهم. الثّاني: أنّه خبر بعد خبر، كأنه قال: أو جاؤكم ثمّ أخبر بعده فقال: حصرت صدورهم وعلى هذا التّقدير يكون قوله: حصرت صدورهم بدلا من جاؤكم الثالث: أن يكون التقدير: جاؤكم قوما حصرت صدورهم أو جاؤكم رجالا حصرت صدورهم، فعلى هذا التّقدير قوله: حصرت صدورهم نصب لأنّه صفة لموصوف منصوب على الحال، إلّا أنّه حذف الموصوف المنتصب على الحال. وأقيمت صفته مقامه".

ومن الذين قالوا بهذا المعنى ضمن هذه الجملة الكريمة في الآية القرآنية صاحب الجدول في إعراب القرآن، عازياً رأيه ذاك للمبرد، إذ بيّن أنها جملة استئنافية خبرية جاءت بمعنى الدعاء. وهذه الجملة في الآية الكريمة إما أن تكون في موضع الحال، والتقدير: قد حصرت صدورهم، أو أن تكون في موضع الصفة، أو هي جملة مستأنفة، والتقدير: أو حصرت صدورهم. وبناء على ما تقدم فإنه يمكن لنا أن نتبين أن جملة "خصرت صدورهم" الواردة في الآية القرآنية الكريمة في موضع الدعاء، أي هو دعاء على الذين كفروا بأن تحصر صدورهم، وإن أول من قال بهذا الرأي المبرد كما أشار إليه جمهور العلماء. ومجيء الخبر في هذه الصورة على معنى الدعاء فإنه يمنح الكلام مزيداً من العمق، ويمنح الجملة الإخبارية معنى إنشائياً يستطيع المتلقي أن يستشفه من خلال عناصر التركيب الإخباري ضمن الجملة ذاتها.

وإذا انتقلنا للحديث عن السياق، فإننا نجد أن عدداً من العلماء قالوا بعدم تناسب السياق مع هذا التقدير أي تقدير الدعاء في هذه الجملة من الآية الكريمة، وذلك على ما أشرنا أعلاه، إذ لو سلمنا بأن هذه الجملة بمعنى الدعاء فهذا يعني أن الدعاء عليهم في الجملة التالية يتناقض مع هذا الدعاء، فيصير بمثابة عدم الدعاء عليهم. غير أننا نقول بمثل ما قال المبرد،

أي إن هذه الجملة جاءت بمعنى الدعاء، أي هي دعوة عليهم بأن تحصر صدورهم وتضيق، بما اقترفوه من الذنوب والمعاصي والآفات.

هذا يعني أن الجملة "حصرت صدورهم" الواردة في الآية القرآنية الكريمة مشتملة على تحول دلالي متمثل بانتقال الدلالة من الخبر إلى الإنشاء، وانتقال الدلالة من الإشارة إلى الخبر إلى الإشارة إلى الدعاء والدعاء أسلوب إنشائي غير طلبي.

رابعاً: الخبر والقصر:

يأتي القصر في معناه اللغوي بمعنى الحبس، يقال: قصرت كذا على كذا، أي حبسته عليه، وفي المعنى الاصطلاحي فالقصر أسلوب نحوي مخصوص، يتكون من مقصور ومقصور عليه، يكون الأول مقصوراً، والثاني مقصوراً عليه، وإن أشهر أشكاله التركيبية: ما وإلا، وإنما، فمثال الأول: ما جاء إلا زيد، ومثال الثاني: إنما الحق منتصر كما يشير مفهوم القصر إلى تخصيص شيء بشيء، وجعله مخصصاً به، إما بطريق النسبة، أو بطريق الإضافة، وغالباً ما يكون هذا النمط التركيبي عبر العلاقة الإسنادية التي تربط طرفي الجملة التركيبية

وعند الإشارة إلى أدوات القصر في اللغة، وهما أداتان في الأشهر، وهما: ما وإلا، وإنما، فهذا يعني أن هذا النمط النحوي التركيبي يأتي وفقاً لنظام محدد لا يتبدل عنه، وهذا النظام ثابت في طبيعته وتركيبه، وهاتان الأداتان يمكن أن يُطلق عليهما دالتا القصر ويشترك هذا المصطلح "القصر" في تسميته مع مصطلح إنشائي آخر ألا وهو الحصر، إذ كثيراً ما يطلق العلماء اسم القصر أو اسم الحصر، أو الاسمين معاً، فيقولون: الحصر والقصر، قاصدين بذلك المفهوم المعروف لدينا وهو مفهوم القصر بسمته التركيبية

وكما جاءت الأنماط الإنشائية غير الطلبية السابقة مرتبطة بالجملة الإخبارية، فكذلك الحال بالنسبة لنمط القصر، فهناك بعض المواضع القرآنية التي اشتملت على جملة إخبارية في لفظها، دالة على القصر في معناها، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الفاتحة: ٢).

إذ يشير العلماء إلى أن قوله: الحمد لله، قصر للحمد عليه سبحانه وتعالى، فالجملة على ذلك إخبارية في لفظها، إنشائية في معناها، وهي دالة على معنى القصر. هذا يعني أن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة قد جاء بهذا الخبر وليس المقصود منه الإخبار، بل

إن المقصود منه إيجاد الحمد لا المقصود منه أنه سيوجد

ولا شك أن للام الجارة التي اتصلت بلفظ الجلالة "لله" في الآية الكريمة دور في منح هذه الجملة معنى القصر المخصوص ضمن هذه الجملة الخبرية، وذلك أن هذه اللام تفيد الاختصاص، أي اختصاص الداخلة عليه بالصفة المتعلقة بها، فهي قد خصت سبحانه وتعالى الحمد به، وما ذاك إلا بسبب وجود هذه اللام التي تفيد الاختصاص

يقول الصابوني في بيان معنى القصر ضمن هذه الجملة الإخبارية: " الجملة خبرية لفظاً إنشائية معنىً أي قولوا «الحمدلله» وهي مفيدة لقصر الحمد عليه تعالى كقولهم: الكرم في العرب" وقد تابع الزحيلي الصابوني في ما ذهب إليه من اعتبار هذه الآية الكريمة التي جاءت بلفظ الخبر دالة على معنى الإنشاء، وهو معنى القصر ضمن هذه الآية الكريمة.

وقد استند المفسرون في بيانهم معنى القصر في الجملة الإخبارية السابقة على طبيعة التعريف الذي دخل ركني هذه الجملة، كما عبروا عن هذا المعنى بأن جاؤوا بمثال معهود في كلام العرب، وهو قولهم: الكرم في العرب، إذ استطاعوا أن يربطوا هذا المثال بمعنى الآية الكريمة الدالة على معنى القصر، وهو ما أشار إليه ابن عاشور وقد اشتملت هذه الجملة على معنى القصر انطلاقاً من طبيعة دلالتها على اتصافه سبحانه وتعالى بالحمد عن غيره من سائر المعبودين، فهو وحده المستحق للحمد والثناء؛ لأنه هو المنعم المتفضل على الناس أجمعين، ولأنه هو وحده القادر على أن يهب لعباده ما يشاء، فاقتصر الحمد عليه سبحانه وتعالى وحده

يقول سيد طنطاوي في تفسير هذه الآية الكريمة: " وجملة الْحَمْدُ لِلَّهِ مفيدة لقصر الحمد عليه- سبحانه- نحو قولهم: الكرم في العرب" وبناء على ما تقدم فإنه يمكن أن نلحظ أن هذه الآية الكريمة قد اشتملت على تحول دلالي متمثل بانتقال دلالة الخبر إلى الإنشاء، وذلك انطلاقاً من تحول هذه الجملة الخبرية إلى معنى إنشائي متمثل بقصر الحمد له سبحانه وتعالى، وهذا القصر آتٍ من طبيعة اللام التي تفيد معنى الاختصاص، يضاف إلى ذلك سياق الحال الذي تدل عليه الآية الكريمة.

وعند الحديث عن سياق الحال وسياق المقال بالنسبة لقوله: الحمد لله رب العالمين، فإنه دون شك أن حال كل إنسان يفيد بالحمد له سبحانه وتعالى، إذ هو وحده المستحق للحمد،

ووحده المستحق للثناء، فهو سبحانه المعطي والواهب، لذا فهو المستحق للحمد والثناء. أما سياق المقال، فلو أننا استبدلنا جملة القصر بجملة الخبر في هذه الآية الكريمة، وقلنا: وما الحمد إلا لله رب العالمين، فإن المعنى يستقيم، الأمر الذي يقودنا إلى القول بأن الجملة الإخبارية ضمن هذه الآية الكريمة جاءت بمعنى القصر.

واستناداً إلى ذلك، فإن القول بدلالة القصر في هذه الآية الكريمة قول مشفوع بالمعنى والتركيب، يضاف إلى ذلك أنه يمنح المعنى مزيداً من القوة والتأثير في نفس المتلقي، انطلاقاً من قصر الحمد عليه سبحانه وتعالى، ونفيه عمن سواه من المخلوقين. ومعنى القصر الموجود في آية الفاتحة نجده كذلك في قوله تعالى أيضاً: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)(البقرة: ١٤٧).

إذ يشير العلماء إلى أن قوله: الحق من ربك، قصر للحقيقة من عنده سبحانه وتعالى، فهو إخبار بمعنى القصر. فهذه الجملة "الحق من ربك" عنصر سياقي يتناسب مع سياق الآية الكريمة، انطلاقاً من معنى قصر هذا الحق من عنده سبحانه وتعالى ليتناسب مع سياق الآية الكريمة الذي يتحدث عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إذ بين الخلوتي أن هذه الجملة جاءت من قبيل القصر، فقد قصر سبحانه وتعالى الحقيقة من عنده فحسب، وهو إخبار على سبيل القصر. وقد بيّن ابن عاشور أن الحق في هذه الجملة اسم للجنس، ولما دخل التعريف جزئي الجملة صار قصراً لمعنى الحق في جزئيها، وهو شبيه بآية الفاتحة التي أشار إلى معنى القصر فيها كذلك

وبناء على ما سبق في هذه الآية الكريمة فإنه يمكن أن نلحظ أن هذه الآية الكريمة مشتملة على تحول دلالي متمثل بانتقال الخبر إلى الإنشاء غير الطلبي، إذ دلّت الجملة الإخبارية "الحق من ربك" على معنى الإنشاء، وهو معنى القصر، وذلك انطلاقاً من ارتباط هذه الجملة الإخبارية بمعنى يقيني عند كل إنسان، وهو المعنى المتمثل باتصاف الحق بأنه من عند الله رب العالمين.

وقد ناسب هذا المعنى سياق المقام والمقال ضمن هذه الآية الكريمة، فإن سياق المقام يشير إلى أن الحق من عنده سبحانه وتعالى، فهو الحق، وهو وحده القادر على أن يأتي بالحق، فكان هذا السياق مناسباً لما عليه تأويل الجملة الإخبارية ضمن الآية الكريمة.

أما سياق المقال، فيظهر ذلك جلياً عبر استبدال جملة القصر بجملة الخبر التي وردت في الآية الكريمة وهو قولنا: وما الحق إلا من ربك، فاستقام المعنى وفقاً لهذا التقدير، مما يقودنا إلى القول بأن المعنى يناسب السياق ضمن هذه الآية الكريمة.

وانطلاقاً مما سبق فإنه يتبين أن هذه الجملة الإخبارية قد تحولت عن معناها الإخباري المحض وانتقلت إلى معنى إنشائي غير طلبي وهو معنى القصر، فقد قُصِر الحق على أنه من عند الله رب العالمين، وهو ما يواءم مع سياق الحال وسياق المقال، ويمنح المعنى مزيداً من التوكيد والتقرير لدى المتلقي، علاوة على قوة التأثير التي يفضي بها إلى المتلقي عبر فكرة القصر التي تمثلت ضمن هذه الجملة الإخبارية المتحولة في معناها إلى الإنشاء غير الطلبي.

خامساً: الخبر والمدح:

غالباً ما يرتبط مصطلح المدح بمصطلح الذم في مصنفات العلماء النحوية وغير النحوية، إذ كثيراً ما نسمع بأسلوب المدح والذم، ويحدد العلماء لهذين الأسلوبين أفعالاً يتوصل بها إلى إنشاء المدح أو إنشاء الذم عند المتكلم، فالمدح له أفعال: نعم، وحبذا، والذم له أفعال: بئس، ولا حبذا، وساء، إذ تشكل هذه الأفعال الدالة التركيبية الموصلة للمدح أو الذم ويبين الجرجاني مفهوم المدح قائلاً: " هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدًا"كما يذكر أن هناك مجموعة من الأفعال التي يؤتى بها في اللغة لإنشاء المدح أو الذم، فهذه الأفعال هي الدالة على معنى المدح أو معنى الذم، ومنها: نعم للمدح، وبئس للذم. ويرد في كتاب الله سبحانه وتعالى بعض ملامح التحول الدلالي ضمن الجملة الإخبارية، حيث إنها تنتقل إلى معنى المدح، وإن كان ذلك غير كثير في كتابه سبحانه وتعالى، إلا أنه موجود، ومن ذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الفاتحة: ٢).

لقد سبقت الإشارة إلى هذه الآية الكريمة وتبيّن أنها تحمل معنى القصر الذي يأتي من طبيعة الدلالة الإخبارية بتعريف ركني الجملة، فأفضى ذلك إلى معنى القصر ضمن هذه الجملة الكريمة، أما في هذا الموضع فإننا نجد أن هذه الآية الكريمة تحمل معنى الثناء والمدح له سبحانه وتعالى، أي إن هذه الجملة انتقلت كذلك لمعنى إنشائي هو المدح. وهذا ما صرح به السيد العاني عند حديثه عن جملة "الحمد لله رب العالمين" فقد توسّع في هذا المعنى، وبيّن أنها حيثما وُجِدت فهي تحمل معنيين إخباري وآخر إنشائي، أي إنها إخبارية في لفظها إنشائية في معناها .

يقول الخطيب الشربيني: " وجملة الحمد لله خبرية لفظاً؛ إنشائية معنى، لحصول الحمد بالتكلم بها مع الإذعان لمدلولها، ويجوز أن تكون موضوعة شرعاً للإنشاء وقيل: خبرية لفظاً ومعنى، قال بعضهم: وهو التحقيق إذ ليس معنى كونها إنشائية لا أنها جملة إنشاء الحامد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى" والإشارة التي سبقت عند الخطيب الشربيني إنما هي إشارة إلى معنى الثناء الذي تضمنته هذه الآية القرآنية الكريمة، وهو معنى يزيد في إحكامها ودلالتها الخصوصية على اتصافه سبحانه وتعالى بالحمد واستحقاقه له على ما امتن به على عباده الصالحين.

بل ازداد الأمر توسعاً حين ذهب عدد من المفسرين إلى اعتبار كل جملة متضمنة معنى الحمد مشتملة على مدحه سبحانه وتعالى، ففي آية الكهف: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا)(الكهف، ١)، ذهب القنوجي إلى اعتبار أن هذه الآية الكريمة جيء بها لإنشاء المدح والثناء له سبحانه وتعالى، يقول: " هل المراد الإعلام بذلك للإيمان به وتكون الجملة خبرية لفظاً ومعنى أو الثناء به، أي إنشاء الثناء بثبوت الحمد لله وتكون الجملة إنشائية لفظاً ومعنى، بمعنى أنها نقلت في العرف للإنشاء أو الإعلام والثناء كلاهما، والجملة مستعملة في الخبر والإنشاء على طريق الجمع بين الحقيقة والمجاز".

وكلام القنوجي السابق يفضي إلى القول بأن عدداً من المفسرين ذهبوا إلى اعتبار هذه الجملة "الحمد لله" دائمة الدلالة على الثناء والمدح له سبحانه وتعالى، وذلك انطلاقاً من طبيعة المعنى الذي تفيده هذه الجملة، علاوة على الإشارات الإنشائية التي تشير بها هذه الآية الكريمة، وبناء عليه فقد عمم هؤلاء المفسرون فكرة المدح والثناء على كل آية مشتملة على حمده سبحانه وتعالى.

فجملة الحمد لله التي ترد في كتاب الله تعالى إنما يقصد به الثناء عليه سبحانه وتعالى، والإذعان له انطلاقاً من كونه سبحانه هو المنعم المتفضل على عباده، وهو المستحق لهذا الحمد، من هنا كان تخصيصه بالحمد والثناء عليه سبيلاً لإظهار المدح بصيغة الخبر كي يكون أكثر ثبوتاً في النفس وهذا التخصيص الحاصل بصيغة هذه الجملة "الحمد لله" في كتاب الله العزيز إنما يأتي لتحقيق الثناء عليه سبحانه وتعالى، وتأكيد هذا الثناء عبر هذه الصيغة التي تخصصت به سبحانه وتعالى، فكان وحده المستحق للحمد والثناء على ما أنعم واتفضل على عباده

وبناء على ما تقدم فإنه يمكننا أن نلحظ أن هذه الجملة الكريمة "الحمد لله" اشتملت على قدر كبير من التحول الدلالي، فصارت بمثابة جملة مختزلة لكثير من المعاني، فهي من جهة جملة إخبارية متكونة من المبتدأ والخبر، تحمل في ثناياها الشكلية صفات الجملة الإخبارية، وتمنح العبارة مزيداً من القوة انطلاقاً من كونها جملة اسمية.

ومن ناحية ثانية فقد طرأ على هذه الجملة تحول دلالي متمثل بانتقال المعنى والدلالة إلى قصر الحمد عليه سبحانه وتعالى وفقاً لما بيّناه في الحديث عن الخبر والقصر، وهذا المعنى ناشئ من طبيعة سياق الجملة ذاتها، ودخول لام الاختصاص على لفظ الجلالة "لله"، إذ منحت هذه اللام المعنى مزيداً من الإشارة إلى القصر.

ومن جهة ثالثة فقد طرأ تحول دلالي آخر على هذه الجملة، وهو معنى المدح، إذ أفادت كلمة "الحمد" تخصيصه سبحانه وتعالى بهذه الخصيصة لأنه هو المتكرم على عباده، المنعم عليهم، المتفضل عليهم بكل ما ينفعهم في حياتهم، فاستحق أن تكون هذه العبارة مخصصة به سبحانه وتعالى، فانتقلت الجملة وفقاً لهذا المعنى للدلالة على معنى المدح والثناء له سبحانه وتعالى، إذ هو المستحق لهذا المدح والثناء.

ومن جهة السياق فإن هذا المعنى الإنشائي الذي طرأ على هذه العبارة التركيبية يتناسب تماماً مع سياق المقام والمقال، فدون شك فإنه سبحانه وتعالى مستحق للحمد من سائر عباده، وأن لسان عباده الصالحين يلهج بهذا الحمد، كما أن سياق المقال لا ينفي أن تكون هذه العبارة مشتملة على مدحه سبحانه، وبالتالي فإن هذا التحول الدلالي متناسب تماماً مع سياق المقام والمقال ضمن هذه الآية الكريمة.

يتبين من خلال ما سبق أن هذه الآية الكريمة مختزلة لمجموعة من المعاني، منها ما هو إخباري، ومنها ما هو إنشائي، ففي الوقت الذي تشير فيه هذه الآية الكريمة لمعنى الإخبار، فإنها تشير كذلك لمعنى القصر المتمثل بقصر الحمد عليه سبحانه وتعالى، كما تشير إلى معنى المدح الناشئ من طبيعة تحول معنى الحمد إلى معنى المدح، الأمر الذي يجعل هذه الآية الكريمة نموذجاً سامياً لوصفه سبحانه وتعالى بصفات التنزيه والعلو فهو وحده المستحق لهذه الصفات.

الخاتمة

لقد أتم الله عليّ نعمته بأن أنجزت هذه الدراسة، ومنَّ عليَّ بفضله بأن أتممت عملها، وإن لكل عمل نتيجة، ولكل جهد فائدة يرجوها من يعمل ذلك العمل، من هنا فقد رصدت مجموعة من النتائج في هذه الدراسة، وهي على النحو الآتي:

. يتميز الأسلوب القرآني بميزات تجعله منفرداً عن غيره من النصوص اللغوية، لا لكونه نصاً مقدساً نزل من عند الله سبحانه وتعالى فحسب، بل لكونه نصاً لغوياً متضمناً لمظاهر لغوية لم تتسنَّ لغيره من النصوص اللغوية الأخرى، شعراً ونثراً، وهو ما جعل البحث ضمن النص القرآني مرتبطاً بمظاهر التميّز تلك، وقد أثبتت الدراسة مظاهر التميز في أسلوب القرآن الكريم، وذلك عبر مجيء الخبر بمعنى الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، فمنح المعنى مزيداً من الأفكار، وأعطاه قدراً كبيراً من الدلالة العميقة.

. انطلاقاً من كون هذا الكتاب العزيز حمّال أوجه، فقد رصدت مجموعة من مظاهر التميز تلك، وتبيّن لي أنها مرتبطة بعوامل لغوية إفصاحية، تشترك فيها الدلالة مع التركيب، ويمتزج الخبر بالإنشاء، فتأتي الجملة إنشائية في لفظها، خبرية في معناها، أو في الوقت نفسه تأتي خبرية في لفظها إنشائية في معناها، ويستوي في ذلك أن يكون الإنشاء طلبياً أم غير طلبي، ومن الشواهد على ذلك من الدراسة مجيء الخبر بمعنى الاستفهام، أو بمعنى الأمر أو نحو ذلك من الإنشاء الطلبي، ومجيء الخبر بمعنى المدح والذم من الإنشاء غير الطلبي. و يكثر خروج الجملة الخبرية عن معناها إلى معنى الإنشاء الطلبي، في حين يقل خروجها إلى معنى الإنشاء غير الطلبي، كما يكثر أن يكون خروج الجملة الخبرية إلى معنى الأمر أو النهي، قياساً بالأنماط الإنشائية الطلبية الأخرى، وقد شهدت النماذج القرآنية التي سيقت في الدراسة على ذلك، ويمكن تفسير ذلك بأن خروج الخبر عن معناه يكون لغاية تشريعية أو توجيهية؛ لذا يكثر أن يكون أمراً او نهياً، وهو ما يتناسب مع كثرة الإنشاء الطلبي قياساً بغير الطلبي.

. إن الخبر إذا خرج عن معناه الإخباري البحت إلى معنى إنشائي يتمازج تركيبياً ودلالياً مع سياق المعنى العام، كما يتناسب مع طبيعة الدلالة العامة للكلام، وهو ما ظهر خلال حديثنا عن المواضع القرآنية المختلفة التي تحدثنا بها ضمن الدراسة، كالحديث عن قوله سبحانه: (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ...).

. يمنح التحول بين الأنماط الإنشائية المختلفة والخبر الكلام مزيداً من المعنى والدلالة، وذلك أن جزء المعنى يأتي من الجملة الخبرية المباشرة التي تظهر عبر سياق التركيب، والجزء

الثاني من المعنى يأتي عبر الدلالة على النمط اللغوي الذي جاء الخبر بمعناه، أي إن الكلام يكون مزيجاً بين معنى الخبر من جهة، ومعنى النمط الإنشائي الذي خرجت له الجملة من جهة ثانية، ومن الأمثلة على هذه المعاني التي ارتبطت بالأنماط اللغوية ما جاء في قوله سبحانه: (الحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ).

. ترتبط بعض المواضع القرآنية التي خرج فيها الخبر إلى معنى النمط اللغوي بشيء من التشريـع، كما كان في آية الرضاعة، وما كان في آيات الأنفال في عدد المؤمنين مقابل الكافرين عند القتال، ومن وجهة نظري فإن مجيء الخبر بمعنى الإنشاء جعل الكلام على سبيل الخيار لا على سبيل الإلزام، فلو أمر الله سبحانه وتعالى الوالدات بإرضاع أولادهن حولين كاملين أمراً صريحاً، لكان الأمر يفيد الوجوب، ولوجب على كل والدة أن ترضع ولدها حولين كاملين، ولكن السياق جاء بالخبر وبمعنى الأمر، فكان في ذلك خيار للوالدة بإرضاع ولدها حولين كاملين، أو أقل، أو أكثر، إذ إن الآية ليست أمراً صريحاً، وإنما المعنى أفاد ذلك. إن تحول الخبر إلى النمط الإنشائي محصور بعدد من الأنماط الإنشائية المختلفة، وهناك مجموعة من الأنماط التي لم تدخل ضمن هذا التحول، كالإغراء والتحذير مثلاً.

قائمة المراجع

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. (١٩٨٣). كتاب التعريفات (تحقيق مجموعة من العلماء تحت إشراف الناشر). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. (٢٠٠٨). سلم اللآلئ في تفسير الآيات والسور (دراسة وتحقيق: وليد بن أحمد بن صالح الحسين، وإياد عبد اللطيف القيسي). بريطانيا: مجلة الحكمة.

الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر. (٢٠٠٣). أسهل التفاسير لأقوال العلي العظيم (ط٥). المدينة: المكتبة الكبرى، مكتبة العلم والحكمة.

الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر. (٢٠٠٠). شرح البيان على التوضيح. بيروت: دار الكتب العلمية.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. (١٤١٥هـ). روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت: دار الكتب العلمية.

الأرمي، محمد الأمين بن عبد الله. (٢٠٠١). حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي). بيروت: دار توق النجاة.

الأباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٣). العدل في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريون والكوفة. بيروت: المكتبة الحديثة.

الأنجاري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي. (١٤١٩هـ). البحر الطويل في تفسير القرآن الكريم (تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رصلان). القاهرة: حسن عباس زكي.

الأصبغاني، أبو القاسم إسماعيل بن محمد. (١٩٩٥). إعراب القرآن (تحقيق وعرض: فائزة بنت عمر المؤيد). الرياض: السعودية.

البيكاوي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباطي. (تقديري ١٩٩٠). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد. (١٤١٨هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تحقيق: محمد عبد الرحمن المراشلي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. (١٤٢٠هـ). صفات التنزيل في تفسير القرآن (تحقيق: عبد الرزاق المهدي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن الجزي، أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. (١٤١٦هـ). التسهيل لعلوم التنزيل (تحقيق: عبد الله الخالدي). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ابن الجني، أبو الفتح عثمان. (تقديري ١٩٨٥). الخصائص (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

ابن الجني، أبو الفتح عثمان. (تقديري ١٩٩٠). اللماع في العربية (تحقيق: فايز فارس). الكويت: دار الكتب الثقافية.

ابن العاجب، أبو عمرو عثمان بن عمر. (١٩٨٩). أمالي ابن الحاجب (تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة). عمان: دار عمار، بيروت: دار الجيل.

ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد أبو السعدات. (١٤٢٠هـ). البديع في علم العربية (تحقيق: فتحي أحمد علي الدين). مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

الجوّي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير (تحقيق: عبد الرزاق المهدي). بيروت: دار الكتاب العربي.

الإستراباذي، راضي الدين محمد بن الحسن. (١٩٧٥). شرح الشافية لابن الحاجب (تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد). بيروت: دار الكتب العلمية.

الحجازي، محمود فهمي. (تقديري ١٩٩٠). اللسانيات العربية. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيـع.

حسن، تمام. (٢٠٠٦). اللغة العربية: معناها وبنيتها (ط٥). بيروت: دار عالم الكتب.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. (١٤١٨هـ). الجواهر الزاهرة في تفسير القرآن (تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم. (٢٠٠٢). الكشف والإيضاح في تفسير القرآن (تحقيق: أبو محمد بن عاشور، مراجعة: نذير السعدي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثناوي، محمد بن علي. (١٩٩٦). استكشاف مصطلحات الفنون والعلوم (عرض وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دهروج، ترجمة النص الفارسي: عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية: جورج زناني). بيروت: مكتبة لبنان.